(125) لمحمد أن يتداول السحر، ولا رصدوا عليه مأخذاً في ذلك، ولكنها تهمة الأنبياء في كل زمان ومكان، كما وصف ذلك القرآن: (كَذَلِكَ مَآ أَتَى آلَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِّن رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَو مَجنُونٌ " 52 ") (1). وأرجف بهؤلاء وأولئك القرآن العظيم، فصكهم بهذه الايمان العظمى، ليقطع دابر القول، ويكشف الحقيقة كما هي: (فَلآَ أُقسِمُ بِالخُنَّسِ * الجَوَارِ الكُنَّسِ * وَالَّيلِ إِذَا عَسعَسَ * وَالصُّبحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى العَرشِ مَكِينٍ * مَّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجنُونٍ * وَلَقَد رَءَاهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الغَيبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَولِ شَيطَانٍ رَّجِيمٍ * فَأَينَ تَذهَبُونَ *) (2). وأعيتهم السبل، وبان عجزهم، فنهى بعضهم بعضاً عن سماع القرآن، وأمر بعضهم بعضاً باصطناع الضوضاء عند قراءة النبي للقرآن، قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسمَعُوا لِهَذَا القُرءَانِ وَالغَوا فِيهِ لَعَلَّكُم تَغلِبُونَ *) (3). فما غلبوا بل انتكسوا، وما انتصروا بل انهزموا، وصكهم القرآن بالإنذار النهائي: (فَإِن أَعرَضُوا فَقُل أَنذَرتُكُم صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُود *) (4). فحدثني أستاذي المعظم آية ا السيد محمد علي الحكيم مد ا في عمره الشريف، قال: فلما تلا محمد صلى ا عليه وآله وسلم هذه الآية قف لها شعر قريش. وإنتهت هذه الملحمة في الآخذ والرد والتفنيد، ويئس الكفار من جميع المناورات التكذيبية الباهتة وطار هباء تكذيبهم الواهن للقرآن، وحجهم ا تعالى في كل ذلك إحتجاجاً بليغاً، أخذوا يقترحون معجزة غيره، وآية سواه: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَولآ أُنزِلَ عَلَيهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ) (5). وكأن القرآن ليس آية، فردهم ا رداً مفحماً، وبين عظمة هذا القرآن: (وَلَو أَنَّ _____ (1) الذاريات: 52. (2) التكوير: 15 ـ 26. (3) فصلت: 26. (4) فصلت: 13. (5) الرعد: 27.